المكتبات المدرسية ودورها في العملية التعليمية والتعلمية

إعداد: جمال عزات أحمرو

أصبحت المكتبة المدرسية الحديثة مركزاً للتعلم، يستطيع المتعلم استخدام مصادرها المختلفة للحصول على المعلومات، بهدف البحث، والاستشارة، أو القراءة الترويحية، أو حتى إثراء المناهج الدراسية، ومواكبة الفكر التربوي الحديث الذي يؤكد ضرورة توفير الفرص الكافية للمتعلمين، لتحقيق النمو الكامل على أسس فردية وفق قدراتهم، وميولهم واستعدادهم. وبذلك فإن المكتبة المدرسية الحديثة هي تلك التي تجمع الوظيفة الخاصة بها مع الوظيفة التعليمية لتكوين المتعلم المفكر، وهي التي تجمع، وتنظم، وتحفظ، وتيسر استخدام المواد المكتبية جميعها استخداماً من شأنه إثراء المنهاج بمفهومه الشامل. وقد اهتمت وزارة التربية والتعليم الأردنية بالمكتبات المدرسية وأولتها عناية كبيرة، وتعمل على توفير مجموعات مختارة، ومتنوعة من الكتب، والدوريات، والمراجع، وغيرها من الأدوات التعليمية، والثقافية، وعُنيت بتعيين أمناء مكتبات مدرسية متفرغين للعمل والاهتمام بالمكتبات المدرسية، وتهتم أيضاً بإعداد الدورات التدريبية لأمناء المكتبات في المدارس بمختلف مراحلها التعليمية.

تعريف المكتبة المدرسية

تطرق الكثير من الباحثين والمهتمين بشؤون المكتبات المدرسية إلى الكثير من التعريفات التي تتبلور في اتجاه واحد، ونأخذ منها ما يأتي :

المكتبة المدرسية هي تلك التي تلحق بالمدارس سواء الابتدائية، أو الإعدادية، أو الثانوية. ويشرف على إدارتها، وتقديم خدماتها أمين مكتبة، ويهدف إلى خدمة مجتمع المدرسة المكون من الطلبة والمدرسين (الزمامي، ١٩٨٦).

والمكتبة المدرسية كما يدل عليها اسمها، توجد في المدارس على مختلف مراحلها، وتقوم بتوفير المواد المطبوعة، وغيرها لمساندة المنهاج المدرسي، والأنشطة

التربوية وإثرائها، وتقدم خدماتها لأفراد مجتمع المدرسة من طلبة ومعلمين، وتلبي احتياجاتهم من المعلومات، وتقوم بتدريب الطلبة على استخدام الكتب والمكتبات، وإكسابهم المهارات المكتبية، ومهارات التعليم الذاتي التي تقودهم إلى التعلم المستمر طوال الحياة. (العلي، ١٩٩٥).

الأهداف التربوية للمكتبات المدرسية

إن المكتبة المدرسية يمكن أن تكون مورداً تربوياً عذباً للطالب يرتوي من معلوماتها، ويستفيد من مقتنياتها المتعددة، ولا بد من ترغيب الطالب في التردد عليها والاستفادة منها. (الزمامي، ١٩٩٨).

ويمكن من خلال الأهداف التربوية للمكتبة المدرسية أن تؤدي دورها المنشود، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأهداف التعليمية، والتربوية للمدرسة التي تقدم لها خدماتها، إذ إن الغرض الأساسي من وجودها، هو مساعدة المدرسة على تحقيق رسالتها في النواحي التعليمية والتربوية كافة، ويقاس مدى جودتها بمدى فعاليتها في تحقيق أغراض البرنامج التعليمي. ومن العوامل الأساسية التي أثرت في تطور مفهوم أهداف المكتبة المدرسية ووظائفها ما يأتي :

- أجمعت النظريات التربوية الحديثة على أنّ العملية التعليمية لم تعد قائمة على التلقين، بل أصبحت تعتمد على إيجاد الرغبة لدى الطالب في التعلم.
- أصبح المتعلم محور العملية التعليمية، والمعلومات التي يقدمها الكتاب المدرسي لم تعد كافيةً، بل هي بداية الطريق للحصول على المعلومات المختلفة عن الموضوع.
- أصبحت المواد الدراسية وحدات مترابطة متكاملة بدون حواجز مما دفع المتعلم إلى تحصيل المعلومات عن طريق النشاط الذاتي واستيعاب المعلومات ككل متكامل. (الشامي، ١٩٨٦).

أهداف المكتبات المدرسية

١. توفير الكتب، والمراجع، والوسائل السمعية، والبصرية، وغيرها من المواد التعليمية التي تخدم المقررات الدراسية، ومختلف أوجه الأنشطة التربوية في المدرسة.

٢. خدمة التكامل في المناهج عن طريق توجيه الطلبة إلى قراءات من الكتب، والمراجع، والقيام بمشروعات متصلة بالنشاط التعليمي بالمدرسة.

٣. تزويد الطلبة بالمهارات التي تمكنهم من الاستخدام الواعي والمفيد لمحتويات المكتبة والخدمات التي توفرها.

٤. تنمية الاتجاهات والقيم الاجتماعية المرغوب فيها من خلال الأنشطة المكتبية المتنوعة.

٥. غرس عادة القراءة، والاطلاع لدى الطلبة، وتنمية قدراتهم القرائية.

٦. تنظيم المواد المختارة بحيث تستعمل استعمالاً فعالاً ومفيداً.

٧. العمل على تحقيق القاعدة التربوية (التعلم بالعمل).

٨. تدريب الطلبة على كيفية استخدام الكتاب والمكتبة بفاعلية.

٩. الاستفادة من تعدد مصادر المعرفة، وتنوع وسائلها.

١٠. توجيه الطلبة إلى المكتبات الموجودة في المجتمع المحلي والتعاون معها في السعي نحو استمرار النمو الثقافي والتربوي بعد مغادرتهم المدرسة. (الزمامي، ١٩٩٨)

وهذه الأهداف مجتمعة تعد أهدافاً للمكتبة المدرسية، التي يجب أن تعمل على أن تكون «مختبراً لتقديم أشكال المواد التعليمية وأنواعها اللازمة لتدعيم البرنامج التعليمي بأقصى درجة ممكنة، وتوفير الفرص المناسبة والكافية لكل طالب للتعامل مع الأفكار والآراء، بذكاء وتركيز، من خلال إرشاد وتوجيه يتميزان بالكفاءة والقدرة، في بيئة تؤدي إلى تحقيق أقصى قدر ممكن من

التعليم». وقد يصعب على المكتبة المدرسية أن تحقق هذه الأهداف ما لم تتعاون الجهات المتعددة؛ كوزارة التربية والتعليم، وأمناء المكتبات المدرسية، ومديري المدارس، والهيئة التدريسية، والطلبة المستفيدين، لأن تطبيق هذه الأهداف يتطلب جهداً، وتعاوناً، ووعياً للدور الذي يمكن أن تقوم به المكتبة المدرسية في إعداد نشء قارىء. فالمكتبة المدرسية ينبغي أن تكون القلب النابض بالنشاط، والحيوية لمختلف جوانب المنهاج الدراسي. (الشامي، ١٩٨٦)

المكتبة المدرسية ودورها التربوي والتعليمي

لقد ظلت المكتبات المدرسية- حتى وقت ليس ببعيد- تعتمد على أوعية المعلومات التقليدية التي تتمثل في المواد المطبوعة من كتب، وصحف، ودوريات في تقديم خدماتها لروادها، وسوف تظل هذه المواد هي العمود الفقري للمكتبة المدرسية. لكن المكتبة المدرسية بالمفهوم الحديث أصبحت مركزاً للوسائل والمعلومات يعج بالنشاط، إذ يقوم بتجميع المعلومات، وتحليلها وتفسيرها للمستفيدين منه، والمستخدمين لموارده حالياً ومستقبلاً.

وفي الواقع إن التقدم العلمي والتكنولوجي الذي تحقق خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وما صاحبه من ثورة في المعلومات أضاف وسائل اتصال حديثة، يسرت نقل المعرفة ونشرها على أوسع نطاق في العالم وبسرعة من خلال أوعية غير تقليدية تعتمد على حاستي السمع والبصر معاً، واستخدمت هذه الأوعية الجديدة وسائل اتصال تعليمية تحرص الكثير من المدارس والمؤسسات التعليمية على الاستفادة منها في تحقيق برامجها، وأهدافها التعليمية، والتربوية.

وكان على المكتبات المدرسية أن تطور خدماتها بحيث تيسر استخدام مختلف أوعية المعلومات من مطبوعة وغير مطبوعة، وتوظيف استخدامها لتلبية الاحتياجات والأغراض التعليمية والتربوية كافة. وبذلك أصبحت المكتبة مركزاً للمصادر التعليمية ومركزاً للتعلم في الوقت ذاته لمواكبة التطورات المكتبية والمعلوماتية الحديثة. وقد برز اتجاه قوي يرمي إلى توسيع خدمات المكتبات المدرسية فضلاً عن كونها مركز المصادر التعليمية، وتنويع مصادرها، لأنها تعد مركز التعلم بالمدرسة العصرية التي تسعى إلى تحقيق النمو المتكامل للطالب، وإتاحة الفرص الكافية لتنمية قدراته وخبراته عن طريق ممارسة مختلف الأنشطة الفردية تبعاً لميوله واحتياجاته، ولهذا فإن «التعلم عملية تنتج من نشاط الفرد وتسعى لهدف معين له أهمية عند هذا

الفرد وينتج عنه تغير في سلوكه». ومن هنا نشأ الاهتمام بعملية التعلم وتفضيلها على عملية التعليم، إذ إن تعلم المتعلم أبقى أثراً، وأكثر فائدة من تعليم المعلم، فهو يؤدي دوراً كبيراً في حياة الفرد عن طريق إكسابه العديد من الخبرات التي تساعد على تكوين العادات، والميول التي تؤثر في سلوكه.

ويقصد بالخبرات التعليمية جميع الأنشطة التي يقوم بها الطالب لكي يتعلم، وليس ما يقوم به المعلم لتعليم الطلبة. وتؤكد الاتجاهات التعليمية الحديثة ضرورة العناية بالتعليم الجماعي، لأنه لا يضع في اعتباره الفروق الفردية بين طلبة الصف الواحد، تلك الفروق التي أكدتها الدراسات النفسية والتربوية.

وقد اعتمد هذا الرأي على الفلسفة التربوية الحديثة التي تنادي بتفريد التعليم (Individualized Instruction) بمعنى أن يتم التعامل مع كل طالب كفرد يعتمد أساساً على التعليم الجماعي والتوجيه الجمعي، فإن المكتبة المدرسية هي المجال الرئيس في المدرسة الذي يمكن أن يتم فيه التعلم على أسس فردية، وذلك بفضل مصادرها المتنوعة التي تتيح للطالب اكتساب المهارات والمعلومات والخبرات طبقاً لاحتياجاته الفعلية وقدراته الخاصة خارج المناهج الدراسية التقليدية، وتشجعه على تنمية مواهبه الاستقلالية والابتكارية.

ونستطيع أن نحقق الوظيفة الأساسية للمكتبة المدرسية في ما يأتي:

١. توفير المصادر التعليمية، والتربوية، والوسائل السمعية، والبصرية.

٢. تدعيم المناهج الدراسية والمساهمة في تنفيذها.

٣. تدعيم الأنشطة التربوية.

٤. تقديم التربية المكتبية من خلال تنمية مهارات الطلبة في استخدام الكتب، واستعمال المكتبة بمصادرها المختلفة.

٥. تنمية مهارات المعلمين، وقدراتهم في العملية التعليمية.

٦. الإرشاد القرائي.

وأخيراً لم تعد المكتبة المدرسية اليوم مجموعات من الكتب فحسب، وإنما أصبحت في معظم الدول التي تسير في درب التقدم والتطور خلية ثقافة متجددة، بما تقوم به من وظائف، وبما تقدمه من برامج علمية وتربوية، من خلال مجموعاتها المقروءة، والسمعية، والبصرية، وصلاتها وعلاقاتها العامة، مما يثري المدرسة، ويخرج فيها أدباء كباراً، وباحثين جادين وشعراء بارزين، وعلماء عاملين.

المراجع

١. الزمامي، سلطان بن عبد الله بن سلطان. (١٩٨٦).

٢. العلي، أحمد عبدالله.(١٩٩٥). المكتبة المدرسية والمنهج المدرسي : دراسة نظرية وميدانية، القاهرة : مركز الكتاب للنشر.

٣. الشيخ علي، محمد سعيد. (١٩٨٩). «واقع مكتبات المدارس الثانوية في الأردن». رسالة المكتبة - مج ٢٤، ع٢ (حزيران) عدد خاص.

٤. الشافي، حسن محمد.(١٩٨٦). المكتبة المدرسية ودورها التربوي - القاهرة : مؤسسة الخليج العربي.

٥. الزمامي، سلطان بن عبد الله بن سلطان، مصدر سابق.

٦. الشافي، حسن محمد، مصدر سابق.

٧. الشيخ علي، محمد سعيد، مرجع سابق.